

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[286] وتأتي "الآية الثانية": لتتحدّث عن المنافقين من موقع الذم والتوبيخ، وهم الذين إمتنعوا من السير في ركب النبي(صلى الله عليه وآله) والخروج معه في واقعة الحديبية وتوهّموا أن رسول الله(صلى الله عليه وآله)والمؤمنين الذين إنطلقوا إلى مكة سوف لا يعودون إلى أهلهم أبداً بل سيفتلون عن آخرهم بأيدي المشركين من قريش في حين أن القضية إنعكست تماماً وعاد المسلمون بذلك النصر الباهر في صلح الحديبية وهو سالمون لم يصب أحد منهم بأذى فتقول الآية: (بَلْ طَٰغَٰتُكُمُ الْأَنۡفَٰلُ يَذۡقُلَابَ الرِّسۡوَلِ وَالۡمُؤۡمِنُونَ إِلَيَّ أَهۡلِيهِمْ أَبَدَآءً وَزُرِّيۡنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَطَٰغَٰتُكُمُ الظَّنُّ السَّوۡءُ وَكُنۡتُمۡ قَوۡمًا بُرَآءً). ومفردة (بور) في الأصل بمعنى شدة الكساد، وبما أن شدة الكساد باعثة على فساد الشيء كما في المثل المعروف لدى العرب (كسد حتى فسد) فإن هذه الكلمة تأتي بمعنى الفساد، ثم أطلقت على معنى يتضمّن الهلكة والإندثار، وأطلقت على الأرض الخالية من الشجر والنبات فيقال (بائر) لأنّها في الحقيقة فاسدة وميتة. وهكذا نجد أن فئة المنافقين الذين عاشوا هذا الظن السيء في واقعة صلح الحديبية لم يكونوا قلاء، ومن المعلوم أنّه لم يصيبهم الهلاك بمعنى الموت، وعليه فإنّ (بور) بمعنى الهلاك المعنوي والمحرومية من الثواب الإلهي وخلوّ أرض قلوبهم من أشجار الفضائل الأخلاقية والشجرة الطيبة للإيمان، أو يكون المراد الهلاك الأخروي بسبب العذاب الإلهي، والهلاك الدنيوي بسبب الفضيحة، وعلى أيّة حال فالآية الشريفة تدل بوضوح على النهي عن سوء الظن وخاصة بالنسبة إلى النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله). وفي "الآية الثالثة": من الآيات محل البحث نجد بحثاً آخر عن سوء الظن بالنسبة إلى ساحة الربوبية والحقيقة المقدّسة الإلهية في حين أن الآيات السابقة كانت تتحدّث عن سوء الظن بالنسبة لأفراد البشر، فتقول الآية بعد أن قرّرت أن الهدف الآخر من الفتح المبين وهو فتح الحديبية أن الله تعالى يريد أن يعذب المنافقين والمشركين فتقول: (وَيُعَذِّبُ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْمُنَٰفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّٰلِمِينَ بِلَا ظَنٍّ السَّوۡءِ عَلَيْهِمۡ دَآئِرَةُ السَّوۡءِ وَغَضِبَ اللَّهُ